المحاضرة الثالثة

أدب السير: السيرة الشعبية أنموذجا

"اقرأوا تغريبة بني هلال، ستجدون حتما تفسيرا واضحا لجوعكم وبؤسكم"

واسيني الأعرج، نوار اللوز، ص09

أولا. دلالة المصطلح:

تكاد تتفق المعاجم اللّغوية على دلالة واحدة للفظة (السيرة) وهي "الطريقة" أو (السنة) أو (حديث الأوائل)، فقد جاء في المعجم الوسيط "السيرة/ السنة والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره"[1].

وفي لسان العرب "السيرة/ الطريقة، يقال سار بهم سيرة حسنة والسيرة الهيئة، وفي التنزيل (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى) طه/ الآية 21. وسير سيرة/ حدث حديث الأوائل"[2] والمعنى الأخير هو الأقرب للحكي والإخبار، لأنه يدل على الإخبار بحديث الأوائل.

ومع بداية عصر التدوين أصبح لفظ السيرة أكثر خصوصية لارتباطه بالسيرة النبوية، خاصة بعد كتابة ابن هشام (ت218هـ) لمدونته السيرية (السيرة النبوية)، كما تعانقت مادة (سير) مع مادة لغوية أخرى هي (غزا) وذلك لكثرة تناول مناقب وبطولات الغزاة، وعلى رأسها غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما نجده في سيرة ابن إسحاق والواقدي وابن سعد. وقد مثلت سيرة ابن إسحاق (ت151هـ) "كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي" التي ضمنها ابن هشام في كتابه السيرة النبوية امتدادًا للاتجاه القصصي في كتابة السيرة[3]. فمدونته تعد المصدر الأبرز في السيرة النبوية، لأن ابن إسحاق يعرف بـ"رئيس أهل المغازي"[4].

---

[1] المعجم الوسيط، مادة (س ي ر)، ص493.

[2] ابن منظور، لسان العرب، المطبعة السيرية ببولاق، ط1، ج6، مادة (س ي ر)، ص56.

[3] حسين ناصر، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص 83. نقلا عن ضياء الكعبي، السرد العربي القديم، ص160.

[4] كشف الظنون، 1012/2.

كما تجاور لفظ (السيرة) و(الترجمة)، بل تلازما في كثير من الدراسات النقدية حتى شاع هذا الاستعمال: "أدب السير والتراجم"، ولا ينبغي أن نستعمل اللفظتين من باب الترادف لأن بينهما فروقا جوهرية "ففيما كانت "السيرة" تحيل على المرويات والمدونات التي عنيت بشخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كانت الترجمة تحيل على خلاصات موجزة للتعريف بأعلام الحديث النبوي والقصة والأدب واللّغة والطب والحكمة"[1]. فالموضوع واحد حياة علم من الأعلام، إلا أن السيرة تأتي مطولة، والترجمة موجزة. شأن: سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي (ت597هـ)، وترجمة ابن أبي أصيبعة (ت668هـ) للأطباء في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، هذا وقد توسع مفهوم السيرة ليشمل أربعة أشكال بارزة في تراثنا السردي.

ثانيا. أشكال السير: تتفرع السيرة العربية إلى أشكال أربعة، هي:

1- السيرة الموضوعية:

هي بحث قصصي مطول حول حياة ومآثر علم من الأعلام، فالسيرة الموضوعية تتسم بالطول وتأتي عادة في كتاب مستقل يتضمن حياة علم من أعلام الدين أو الأدب أو التاريخ أو الفلسفة... يذكر مولده، نشأته، رحلاته، أثاره العلمية، مواقفه وسماته الشخصية، وهي شكل عربي قديم توسع وامتد إنتاجه حتى العصر الحديث مع تعديل في الأسلوب وطريقة العرض. فلم تعد اليوم السير الموضوعية تكتب بطريقة قصصية فحسب، بل ظهرت سير تعتمد طريقة التحليل الموضوعي كما فعل "العقاد" في العبقريات، كعبقرية الصديق، عبقرية الفاروق...الخ.

ومن أقدم السير الموضوعية سيرة (عمر بن الخطاب) لابن الجوزي (ت597هـ) وسيرة (صلاح الدين الأيوبي) لابن شداد (ت632هـ)، وسيرة (الروض العاطر في سيرة الملك الظاهر) للبدر العيني (ت855هـ)، وسيرة (أحمد بن طولون) للبلوي (ت...)[2]. وأهم ما يميز السيرة الموضوعية عن غيرها من أشكال السير العربية، "أنها تعنى بشخصية استأثرت باهتمام الناس،

[1] عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص125.

[2] ينظر، المرجع السابق، ص132.

وأصبحت مآثرها معروفة بينهم، وتقوم السير بوصف المركز الاعتباري الذي بلغته، وتضفي عليه أوصافا كثيرة من نتاج المرويات الإخبارية حول تلك الشخصية"[1].

وتبقى مدونات (السيرة النبوية) من أقدم وأجل مدونات السيرة الموضوعية، أعظمها كتاب "ابن إسحاق" الذي جمع فيه ما كان يروى مشافهة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم السيرة النبوية لابن هشام.

2- التراجم:

هو بحث موجز حول حياة علم من الأعلام، الإيجاز هو سمة هذا الشكل السيري، فالمؤلف حين يعرض حياة علم، يذكر: اسمه، مولده، أخباره وأفعاله بإيجاز، ويعد علم الحديث وما تضمنه من حرج وتعديل سببا في البحث في حياة الرجال والأعلام "خدمة للحديث النبوي بالحكم على رواته، ووزنهم بأدق الموازين"[2]. فعلماء الحديث، وقصد التثبت من صحة الحديث النبوي يقومون بدراسة حياة الرواة ومعرفة طباعهم، وأخبارهم ثم توسع الأمر واستقل عن الحديث النبوي، وأصبح الاهتمام بحياة الشعراء والحكماء والفلاسفة والأطباء والنحاة والفقهاء والمفسرين...الخ.

ومن أشهر التراجم التي وصلتنا نذكر:

1- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (ت668هـ).

2- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت270هـ).

3- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (ت630هـ)

4- طبقات القراء المشهورين للذهبي (ت748هـ).

5- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ت771هـ).

6- طبقات الصوفية للسلمي (ت410هـ).

7- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت231هـ).

---

[1] المرجع نفسه، ص132.

[2] هاني العمد، دراسات في كتب التراجم والسير، ص93. نقلا عن عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص130.

8- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت681هـ).

9- طبقات الحفاظ للسيوطي (ت911هـ).

10- إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (ت646هـ).

3- السير الذاتية:

هي شكل من أشكال السير يعنى فيه المؤلف بعرض موجز أو مطول لحياته الشخصية، وأهم أعماله ومواقفه... وهو شكل مستحدث في ثقافتنا العربية، ناتج عن التأثر بالثقافات الأجنبية (اليونانية تحديدًا) يقول شوقي ضيف: "العرب قلدوا فيه غيرهم من الأمم الأجنبية التي قرأوا آثارها، وخاصة اليونان"[1]، يقال إن أول من ترجم لنفسه هو جالينوس، وقد اهتم السلف بهذا الشكل ليس بدافع الإشادة بأعمالهم ومواقفهم، إنما بدافع التأصيل لأفكارهم أو مذاهبهم أو اتجاهاتهم، وممن كتبوا سيرهم الذاتية الرازي وابن الهيثم، وابن الجوزي وابن خلدون وابن حزم والسيوطي وابن حجر العسقلاني.

إلا أن ثمة فروق بين هؤلاء الأعلام في عرض سيرهم الذاتية، بعضهم يعتمد التصريح كما فعل الغزالي في المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، فإن فريقا آخر يعتمد التلميح والإشارة، كما فعل ابن طفيل في (حي بن يقظان) الذي يميل عبد الله إبراهيم إلى اعتباره سيرة ذاتية للمؤلف، مخالفا رأي الجمهور الذي يعتبره من القصص الفلسفي وسنقف معه في المحاضرات القادمة.

[1] ينظر، عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص133.

4- السير الشعبية:(*)

هذا الضرب من السير تكتنفه كثير من الغيوم، خاصة ما يتصل بطرائق تشكله والأسباب الدافعة إلى ظهوره، فالمصادر الأدبية والتاريخية لم تهتم بهذا النوع، لما كان يعتقد أنه من أدب السوقة والعامة الذي لا يرق إلى مستوى النص "أدب الخواص". رغم ما يمثله أدب العوام من صدق ومصداقية في التعبير عن الواقع المعيش "فأدب العاديين، أدل على بيئته من أدب الخواص وأشباه الخواص"[1]

فالسير الشعبية كانت تدرج في دائرة "اللانص" ولم تخرج من هذه الدائرة إلا في العصر الحديث بعد الحرب العالمية الثانية، لما أدرك الإنسان العربي الحاجة إلى هذا النوع، خاصة وقد وجد فيه تفسيرًا لكثير من آلامه ومعاناته، فالدافع النفسي هو أقوى الدوافع وراء هذا الاهتمام، فعبد الحميد يونس "يعزو ظهورها إلى اهتزاز الوجدان العربي بسبب الحروب الصليبية مما دفعه إلى أن يعتصم بعصر البطولة"[2] شأن عنترة بن شداد، والظاهر بيبرس وغيرهما.

ويخلص سعيد يقطين بعد تحليل مستفيض إلى حصر -تحول الرؤية إلى السيرة الشعبية من وضع اللانص إلى النص- في ثلاثة دوافع[3] هي:

1- النزوع القومي التحرري: تنامي النزوع القومي التحرري دفع العديد من المثقفين العرب إلى البحث في مقومات الذات العربية وعناصر وحدتها، وتاريخها الحضاري، وذلك بغية تحصين الذات ضد الآخر (الغرب) فوجدوا في السيرة الشعبية الموضوع المناسب للدفاع والتصدي.

2- بروز مقولة "الشعب" العربي: وهي مقولة محملة بشحنات تحررية وسياسية، ذلك لأنه لم يبق ينظر إلى العامة على أنهم رعاع وأعراب، صاحب هذا التحول النظر إلى الإبداع الشعبي والاهتمام به جمعا وتأصيلاً ودراسة، ومن هذا الأدب (السير الشعبية)[4].

(*) وهو الشكل الذي نفصل فيه أكثر لتقاطعه مع سرود أخرى خاصة السرد العجائبي.

[1] عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ الشعبي. نقلاً عن سعيد يقطين، الكلام والخبر، ص85.

[2] عبد الحميد يونس، دفاع عن الفلكلور. نقلاً عن عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص137.

[3] للتوسع ينظر، سعيد يقطين، الكلام والخبر، من ص86 إلى ص97.

[4] من أهم المصنفات في السيرة الشعبية نذكر:

3- البعد القومي والبطولي: إن البعد القومي الذي تمثله السيرة الشعبية، والبعد البطولي الذي تنهض على أركانه أوجد لدى فئة من الدارسين سببا جوهريا في الاهتمام بهذا النوع السردي.

وهو ما يؤكده عبد الحميد بونس في قوله: "إن من واجبنا أن نعرف أن وجداننا القومي موصول الحياة... ولذلك كان من الضروري أن نحتفل بالبطولة في الأدب الشعبي" لهذا كان التركيز في هذه السير على عنصر البطولة من عنترة بن شداد إلى الظاهر بيبرس.

أما عن الأزمنة التي ظهرت فيها هذه السير، فهي مسألة متشعبة، تعددت الآراء حولها؛ بل وتعارضت أحيانا أخرى، لغياب المادة المعرفية حول نشأة هذه السير في مصادرنا الأدبية والتاريخية، المؤكد أن هذه السير قديمة النشأة لكنها تعرضت عبر الأزمنة والعصور إلى الإضافة والزيادة، فالرواية الشفاهية مدعاة للنحل والزيادة والحذف. وهذا ما يفسر -مثلا- ما جاء في سيرة عنترة، فرغم أنها سيرة تعود إلى ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي) إلا أننا نجد عنترة يسهم في أحداث إسلامية فهو يغزو الأندلس، وقد اجتهد عبد الله إبراهيم في حصر أزمنة ظهور أهم السير الشعبية في مسرد يبين زمن ظهور مرويات السير الشعبية.

1- دفاع عن الفلكلور- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي لعبد الحميد يونس.
2- أضواء على السيرة الشعبية لفاروق خورشيد.
3- سيرة الأميرة ذات الهمة لنبيلة إبراهيم.
4- السير والملاحم الشعبية العربية لشوقي عبد الحليم.
5- قراءة في سيرة حمزة العرب لمحمد رجب النجار.
6- الملاحم والسير الشعبية العربية لأحمد محمد الشحاذ.
7- الآداب الشعبية والتحولات التاريخية لعبد الرحمن أيوب.

ثالثا. مسرد عام للسير الشعبية: مسرد يبين زمن ظهور السير الشعبية[1]:

السيرة	زمن المؤلف	صاحب الرأي
الأميرة ذات الهمة	القرن (3هـ-9م)	نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة: دراسة مقارنة 59 ويستند هذا الرأي إلى أنها كانت تروي للخليفة الواثق (227-233هـ-841-847) السيرة 68:22
عنترة	1- القرن (4هـ-10م)	لويس شيخو، شعراء النصرانية 882:2 وأخذ بهذا الرأي الزيات، تاريخ الأدب العربي 392. محمود ذهبي: سيرة عنترة 155، 171، 280. وموسى سليمان، الأدب القصصي عند العرب 105. وفؤاد حسين، قصصنا الشعبي 77، ويستندون جميعا إلى إشارة أوردها --- دون أن يذكر مصدرها إلى أن العزيز الفاطمي (344-386هـ-955-996م) الشيخ يوسف بن إسماعيل بتدوين هذه السيرة، ونشرها بين العامة، لصرفهم عن ريبة وقعت في قصره، شعراء النصرانية 882:2.
	2- القرن (6هـ-12م)	أندريه ميكال، الأدب العربي 85 وهلر، كما ورد في عبد الحميد يونس ودفاع عن الفلكلور، 163 ويستند هذا الرأي إلى إشارة أوردها أبن أبي أصيبعة، "عيون الأنباء" تؤكد أن طبيبا عراقيا يدعى ابن الصائغ كان "يكتب أحاديث عنترة العبسي وصار مشهورًا بنسبته إليها" 314:2.
الهلالية	القرن (5-8هـ-11-14م)	عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي 133 ودفاع عن الفلكلور 179 ويستند هذا الرأي إلى ما أورده ابن خلدون من أن الهلالية حكاية غريبة عن رحيلهم إلى المغرب تروى "خلفًا عن سلف، وجيلاً عن جيل، ويكاد القادح فيها والمستريب في أمرها أن يرمى عندهم بالجنون والخلل المفرط، لتواترها بينهم"- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر 40:6.
سيف بن ذي يزن	القرن (8-9هـ-14-15م)	ثريا منقوش، سيف بن ذي يزن بين الحقيقة والأسطورة 90 وعبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية 91 وفؤاد حسنين، قصصنا الشعبي 59 ويستند

[1] عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص139.

		هذا الرأي إلى أن السيرة تورد الملك الحبشي سيف أرعد (1334-1372) بوصفه أحد أبطال السيرة.
الظاهر بيبرس	القرن (13هـ-19م)	بدلالة كون السيرة، تورد أحداثًا تاريخية معروفة وقعت في نهاية القرن التاسع عشر مثل ثورة عرابي وولاية الخديوي عباس حلمي (1313-1395) على الرغم من أن أحداث السيرة تبدأ في خلافة المقتدي بالله (467-487هـ-1074-1094م).

رابعا. السمات الفنية للسير الشعبية:

رغم ما تحمله كل سيرة شعبية من خصوصيات وسمات ذاتية إلا أننا حاولنا استنباط جملة من الخصائص المشتركة بينها، نجملها في هذه النقاط:

1- الإطناب:

تتميز السير الشعبية بالطول والإطناب مما جعلها تحتضن كثير من الأنواع السردية (الأخبار، الحكايات، الخرافات، النوادر، الأساطير، الرحلات...)، فبنية الإطناب سمة هذا العمل الحكائي، فأشهر السير تملأ مئات الصفحات كما أن الفضاء المكاني يتسع بصورة غريبة كما في السيرة الهلالية، إذ تمتد دائرة السرد الهلالي لتشمل "المنطقة الواقعة من العراق شرقا إلى المغرب غربا، ومن سوريا شمالا إلى جنوب الجزيرة العربية والسودان جنوبا، كما وجد الباحثون قصصا عن الهلالية لا تزال تتردد في مناطق بغرب نيجيريا، وحول بحيرة تشاد وبلهجات اللغة العربية المحلية هناك"[1].

وقد أعدّ سعيد يقطين سردًا لعدد المجلدات والصفحات التي احتوتها أشهر السير الشعبية، هذا المسرد يؤكد أن الرواية الشفاهية لهذه السرود أسهمت في توسيع مضامين ومحتويات السير الشعبية، بل أضفت الطابع الأسطوري على شخصياتها، فسيف بن ذي يزن يقود جيشا من ثمانية عشر مليونا من الجند، وسيرة الأميرة ذات الهمة تجعل الملك الرومي "لاوون" معاصرًا لثلاثة عشر خليفة ابتداءً من عبد الملك بن مروان (ت85هـ) لغاية الخليفة العباسي (المهدي) (ت158هـ)[2].

[1] عبد الحميد حوّاس، سيرة بن هلال، نقلاً عن ضياء الكعبي، السرد العربي القديم، ص256.

[2] ينظر عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص138.

الفضاء الورقي للسير الشعبية: السير الشعبية من حيث عدد الصفحات:

السيرة	عدد المجلدات	عدد الصفحات
1- ذات الهمة	7	5962
2- عنترة	8	3624
3- الظاهر بيبرس	5	2600
4- بني هلال	3	1352
5- سيف بن ذي يزن	4	1511
6- حمزة البهلوان	4	1198
7- الزير سالم	1	203
8- علي الزئبق	2	316
9- فيروز شاه	4	1248
10- سيف التيجان	1	312
المجموع	**39 مجلدًا**	**32618**

2- الإنشاد:

عملية الإنشاد تمر عبر هذه القناة: الراوي ← المروي ← المروي له

الراوي هو المنشد للسيرة الشعبية، وهو راو مفارق لمرويه وثمة نمطين من الرواة "أولهما الراوي الأصيل وهو الذي يحترم الرواية التي يرويها، ويحترم جمهوره، وثانيهما الراوي المزيف وهو الذي لم يدرب تدريبا كافيا..."[1] ويسمى النمط الأول من الرواة "حاملي التراث" لالتزامهم بحرفية النص المروي، أما النمط الآخر فهم "الرواة" المبدعون "فالرواية عند هؤلاء تخضع للتحويل والزيادة والنقصان"[2]. وأما المروي له فهو جمهور الحضور لعملية الإنشاد، وكلما تفاعل الحضور مع المنشد كلما كان الإنشاد مؤثرًا وناجحا، بل يدفع المنشد (الراوي) إلى إضافة مقاطع ومشاهد يراها أكثر تأثيرًا. وللإنشاد طقوس ملازمة:

[1] ينظر الزيات (أحمد حسن)، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، ط5، 1992، ص242.

[2] ينظر ضياء الكعبي، السرد العربي القديم، ص286.

– التمثيل المسرحي: عادة يستخدم المنشد حركات وإشارات في عرضه الشفوي كأن يستعمل سيفه.

– قد ترافق الرواية للنص السيري مقاطع موسيقية على بعض الآلات كالربابة والجوزة.

فلولا الإنشاد ما كان لهذه المرويات السيرية أن تصلنا. وتأكيدًا لسلطة المنشد (الراوي) على المتلقي (المروي له)، أسوق هذه القصة التي ذكرها موسى سليمان وهو يقدم لسيرة عنترة، هذه السيرة التي سماها الزيات (إلياذة العرب)، القصة مفادها أن رجلاً من أهل (حمص) كان يحضر كل ليلة يسمع فصلاً من قصة عنترة، مرة حضر دون عشاء، وكان سياق القصة (حرب عنترة مع كسرى)، فأنشد القصاص إلى أن وقع عنترة في الأسر عند الفرس، فحبسوه ووضعوا القيد في رجله، وهناك قطع السارد الكلام، وانفضت الناس فأسودت الدنيا في عين هذا الرجل وعاد إلى بيته حزينا... فقدمت له زوجته الطعام فرفس المائدة وشتم زوجته ثم خرج... وذهب إلى الراوي المنشد فأيقظه وقال له: قد وضعت الرجل في السجن مقيدًا وأنت مستريح البال... فأرجوك أن تكمل لي هذا السياق إلى أن تخرجه من السجن، وانظر ما تجمعه من الجمهور في ليلتك فأنا أعطيك إياه الآن، فقرأ له باقي السياق إلى أن خرج عنترة من السجن، فقال له: أقرَّ الله عينك وأراح بالك، الآن طابت نفسي وزالت همومي ثم انصرف إلى بيته مسرورًا وطلب الطعام واعتذر لزوجته، وحكى لها القصة[1].

3- البنية السردية:

تتشابك خيوط البنية السردية في المتون السيرية، ويمكن أن نجمل معالمها البنيوية في هذه العناصر:

1- الرواة: الراوي في السيرة الشعبية شأنه شأن الراوي في السرود الشفوية يتجلى في صورتين هما: "الراوي المفارق لمرويه، يتدخل دائما فيما يروي، وراوٍ متماهٍ بمرويه، يترك للمروي أن يروي دونما تدخل مباشر فيه"[2]. ولكل راوٍ وظائف يقوم بها، فالراوي المفارق لمرويه له وظائف اعتبارية، وتمجيدية وبنائية وإبلاغية وتاويلية، وللراوي المفارق لمرويه وظائف ثلاث

[1] موسى سليمان، الأدب القصصي عند العرب (دراسة نقدية)، دار الكتاب اللبناني، ط3، 1983، ص215.

[2] عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص143.

هي: الوظيفة الوصفية، التوثيقية، التأصيلية[1]. فالراوي هو القناة الرسمية لنقل المروي إلى المروي له.

2- المادة الحكائية: ويسميها عبد الله إبراهيم الوحدة الحكائية وهي سلسلة الأفعال المتعاقبة التي يقوم بها بطل السيرة لإشباع حاجة ما، مادية كانت أو معنوية، وتستدعي رحيلاً من مكان الإقامة إلى مكان الخُصوم والدخول معهم في مواجهة وعودته ظافرًا إلى مكانه، وقد أشبع الحاجة التي دفعته للرحيل[2].

هذا ونسجل أن للمادة الحكائية منطق سردي تخضع له في مجموع السير الشعبية "ابتداء من ظهور الحافز وصولاً إلى إشباع الحاجة، التي ينتدب البطل نفسه لها، ويمثل الإنجاز الذي يقوم به البطل لب الوحدة الحكائية، ومحورها الدلالي، ولتحقيق ذلك الهدف، يستعين البطل وخصمه بفئة من المساعدين"، ففي سيرة الأميرة ذات الهمة تمثل الأميرة دور (البطل) والمساعدين لها (البطال، مليكة، يانس المتغرب)، الهدف (تحرير الأسرى)، الخصم (كوشنارش وصليبا)، المساعدون (السجان، البطارقة) [3].

أما الشخصيات السيرية فهي عادة ما تتمظهر من خلال هذه المواصفات[4]:

1- النبؤة: تهيئ النبؤة في السير الشعبية لظهور البطل قبل ولادته والأعمال البطولية التي يقوم بها، وأن للبطل أصول نبيلة قبل ولادته.

2- الغربة: التي تبدأ عادة ببحث البطل عن نسبه، فالرواة يهيئون ظروفا غير طبيعية لولادة أبطال السير، ثم يتعرض البطل للغربة بالإبعاد والابتعاد عن الديار الأصلية.

3- المحن والصراعات: التي تعترض طريقه والتي يخرج منها منتصرًا فيكتسب صفة البطولة.

---

[1] للتوسع ينظر، المرجع نفسه، ص144 إلى ص150.

[2] المرجع نفسه، ص150.

[3] المرجع نفسه، ص159.

[4] فصلها عبد الله إبراهيم، وجعلها تتواتر في 15 ثابتًا.

4- الانتصار والتوريث: ويكون ذلك بالقضاء على خصوم البطل والانتصار عليهم بالقتل أو السجن والأسر، وتنتهي السيرة بموت البطل، ويكمل المسيرة أولاده.

لعل في هذا التفصيل ما يحفز طلبتنا للإقبال على هذه السير الشعبية قراءة ودراسة وتحليلاً، خاصة وأن في هذه السير إجابات وافية على كثير مما نعانيه اليوم من اختلالات اجتماعية واقتصادية وثقافية، وهي الإشارة التي صدّر بها واسيني الأعرج روايته المشهورة نوار اللوز: "اقرأوا تغريبة بني هلال، ستجدون حتما تفسيرًا واضحا لجوعكم وبؤسكم"[1].

كما نؤكد في ختام هذه المحاضرة على أن ما لمسناه من بعد أسطوري وخرافي في السير الشعبية، سنجده جليًا في المحاضرة الموالية، حين نتحدث عن السرد العجائبي.

وقبل البدء في السرد العجائبي نضع هذا النص السيري بين أيدي طلبتنا للاشتغال به في حصص التطبيق بغية استنباط معالمه السردية وسماته الفنية.

خامسا. للتطبيق:

النص: "... إنه لا يخفى على أهل المعارف والأدب بأن بلاد نجد كانت من أخصب بلاد العرب، كثيرة المياه والغدران، والسيول والوديان، وفيها كانت منازل بني هلال ومازالت على رونقها الأول حتى انقطع العيش والنبات وعم البلا من جميع الجهات، واستمرت المجاعة تسع سنين وذلك بعد الهجرة بأربع مائة سنة وستين. ولما اشتدت المجاعة قصدوا مضرب السلطان حسن بن سرحان... وقالوا له عن فرد لسان اعلم يا ملك الزمان بأن الجوع قد اشتد... فلما سمع الأمير حسن هذا الخطاب استعظم المصاب وأمر من معه قوموا بنا نتخفى ونتفقد أحوال القبيلة، فتنكروا في الحال وخرجوا حتى بلغوا ديار مفرج بن نصير وهو في حالة الذل والاضطراب فحييوه وقالوا أتقبل ضيوفا قد قصدوك، فخجل من حديثهم وقال أهلا وسهلا بالضيوف ثم دخل وقال لزوجته (مي) اذهبي واقصدي بيت أبيك شيبان تجدين شيئا من الطعام تأتين به إلى الضيوف الكرام فلما وصلت بيت أبيها فعلم مرادها، قال لها أنه ما دخل الزاد لبيتنا ثلاثة شهور فرجعت في الحال... وأنشدت:

[1] واسيني الأعرج، نوار اللوز (تغريبة صالح بن عامر الزوفري)، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، ط2، 2007، ص09.

فقم يا ابن عمي ودور على عامر وبيع إليه بنتك بدر التمام
بيع الثريا في عشا لضيوفنا واشري لعرضك لا تكون ملام

فطاف بابنته في أنحاء بني هلال لم يجد من يشتريها.. فقالت له زوجته اذهب عند السلطان حسن أمير القبيلة فإنه يشتريها (وهي لا تعلم أنه ضيف متنكر عندها، فلما سمع السلطان حسن كلامها خرج إلى دياره متخفيا) فلما دخل عليه الأمير مفرج وعرض عليه ابنته ليشتريها، فتأثر السلطان وأمر له بالطعام وأن يرجع بابنته إلى خيمته، ثم نهض الأمير حسن وعاد إلى بيت مفرج.. ثم حضر مفرج بالطعام فأكرم ضيوفه وهو فرحان، ثم عاد السلطان واستقر الرأي على الرحيل عن تلك الديار.. وأن يذهب أبو زيد إلى بلاد الغرب فيحسن الأحوال ويأتيهم بالأخبار ثم يرحلون بأولادهم، فقال أبو زيد المسافة بعيدة فيلزم أن يكون معي جماعة من سادات القبيلة ثم وقع الاختيار على: مرعي ويونس ويحي (مرعي ولد السلطان ويونس ويحي أولاد أختيه) ثم سارعوا لوداعهم مدة ثلاث أيام، فخرجوا حتى أشرفوا على بلاد حوزة وهي بلاد كثيرة الخيرات ملكها الدبيس، فنزلوا دياره وأحسن إكرامهم.. وأقاموا عنده عشرة أيام.. ثم رحلوا عن تلك الديار... حتى وصلوا إلى بلاد العمق وهي بلاد مغامس وكان وصولهم إليها في الليل الدامس.. وكان بتلك الديار أخان أميران الأول اسمه عامر والثاني أبو الجود، للأول ولد اسمه مغامس وللثاني بنت اسمها (شاة الريم) واتفقا على تزويجهما... وكان لهذين الأميرين عدو من ملوك العربان يقال له نبهان... جرت بينهم حرب تشيب الأطفال، قتل فيها أبو الجود وأصيب الأمير عامر، وكان لعامر عبد من الشجعان يقال له سعيد هجم هذا الأمير على نبهان واستطاع قتله، ولما عاد التقته النساء بالنشائد والمدح الزائد وشكرته الرجال على تلك الفعال، ولما اشتد الألم على عامر استقر رأيه على أن يقيم عبده سعيد مكانه حتى يكبر ابنه مغامس.. وبعدما مات عامر وبكى عليه الخاص والعام.. جلس بعدها سعيد على العرش يفعل ما يريد حتى داخله الطمع.. فأزاح مغامس وطرده مع أمه خارج الديار.. ثم أمر سعيد يطلب شاه الريم قصد الزواج بها.. وصنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة.. وكان في تلك الليلة من غريب الاتفاق وصول أبو زيد إلى تلك الآفاق.. وعلم بقصة مغامس وما فعله به سعيد.. فتعجب من هذا الكلام.. وصمم على مساعدة الغلام وقتل سيعيد ابن اللئام.. ثم دخلوا على سعيد على أنهم شعراء يمدحون الملوك والأمراء، فلما فهم مالهم وسمع كلامهم وشعرهم عظم

عليه الأمر.. وقال لهم سعيد قد أحضرناكم يا لئام حتى تطربونا بالشعر ولكنكم أسأتم الأدب فلابد من قتلكم، فلما انتهى من هذا المقال التقاه أبو زيد وضربه على رأسه بالحسام فقتله في الحال وعندما ركب أبو زيد الحصان وقصد الأمير (مغامس) وعاد به إلى دياره وزفوا عليه ابنة عمه شاه الريم وأجلسه على الكرسي مكان أبيه وصارت العرب تمدحه وتهاديه فشكر أبو زيد ومرعي ويحي ويونس على ذلك الصنيع.. وبعدها ودعوه قاصدين مدينة تونس وهم يجدّون في قطع الروابي والتلال".

ملخص الجزء الأول من تغريبة بني هلال الكبرى

(الشامية الأصلية)، منشورات الجمل،

بيروت، 2014، من ص05 إلى ص26.